Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



يكن لأبناء البادية من شاغل يصرفهم عن الحروب انتقاما أو ثأرا أو عدوانا ، إلى غير ذلك من دوافع الحرب التى كانوا ينزعون إليها نزوعا ، ويتهيأون لها بكل ما أوتوا من الوسائل

وكان الأدب — خصوصا الشعر — عند هؤلاء هو التوأم اللازم للفروسية ، فهو الوجه الثانى لها ، أو المرآة التى تعكس صنيع الفارس ، ويتراوى على سطحها أدواته ربية وطرق إعداده ، وكيفية هجومه كرا وفرا .

بيد أن هذه البيئة البدوية لم تكن على مستوى واحد ، بل كانت — فى مجملها — متوزعة بين مستويين يتبايان أشد التباين — وإن لم يخرجا عن البداوة — ويختلفان أوسع الاختلاف فى تمثل البيئة البدوية ، وذلك لأن ساكنى البادية كان منهم السادة المستقرون فى أرضهم ، الخاضعون لما أقروه — على مدى الأجيال — من أعراف وقوانين غير مكتوبة ، القائمون على حياة يسودها نوع من النظام يتلاءم مع ظروف الحياة وكان منهم الشواذ الخارجون على النظم والأعراف ، الفارون من وجه العدالة والمحاسبة إلى شعاب الجبال ، يباشرون حيالهم كما يحلو لهم ، أو كما يتصورونه المسلك الأصلح وهؤلاء هم الذين عرفوا باسم ( الصعاليك ) .

ولا ريب فى أن لكل من الوسطين خصائصه التى تميز تكوين ساكنيه من ساكن الوسط الآخر ، وتفرض عليه من المشاعر والانفعالات والأفكار ما يختلف عما يفرضه الوسط الآخر على ساكنيه ، أى أن لكل من الوسطين آثاره التى تنتجه بكل وجهة تتسق مع أبعادها وظروف الحياة فيها ؛ فتميز أدب هؤلاء عن أدب أولئك .

* * *

إذا حددنا مقصودنا بالبادية بأنها الوسط الذى يقوم على أخلاقيات البادية سواء كان فى محيط البادية ذاتها أو خارج إطارها ، فإن باستطاعتنا أن نحدد المقصود بالحاضرة — كذلك — بأنها الوسط الحضرى الذى يقوم على أخلاقيات الحاضرة ، وأساليبها فى السلوك والتفكير : وما يفرضه ذلك الوسط على أبنائه من ألفاظ يتكون منها المعجم اللغوى لهم ، وتصور تبرز فى أشكاله معانيهم ومدركاتهم للأمور والأحداث والمواقف وفنون تتسلق بها مشاعرهم وعواطفهم ، ويدور حولها بيانهم وتعبيرهم .